قافلة البشرية

من سفينة نوح
إلى دولة المهديّ عجّل الله فرجه الشريف

اسـم الكـتـاب: قافلة البشريّة من سفينة نوح إلى دولة المهديّ ﷻ

الـكـاتـب: أكرم بركات

الـنـاشـر: بيت السراج للثقافة والنشر

الطبعـة الخامسة: بيروت ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠م

©جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

تصميم وطباعة:

DBOUK
00961 3 336218

قَافِلَةُ البَشَرِيَّة

من سفينة نوح

إلى دولة المهديّ عجل الله فرجه الشريف

أكرم بركات

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة مسجد القائم عجّل الله فرجه الشريف

مجموعة كتب يلامس محتواها حاجة الناس

في الفكر والسلوك وتضيء على طريق سعادة الإنسان،

وتوضّح برنامجها تناولها الشيخ د. أكرم بركات

على منبر مسجد القائم عجّل الله فرجه الشريف في الضاحية الجنوبيّة لبيروت

ثمّ ألبسها ثوبَ الكلمات المكتوبة بين يديك

عسى أن تكون محلاًّ للقبول.

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى اللّه على سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وآله الطيّبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، وعلى جميع أنبياء اللّه والمرسلين والشهداء والصدّيقين.

لفتني ما قرأته للإمام الخمينيّ قدس سره حول شغفه بكتابة قصص الأنبياء، مع عدم توفّر الفرصة لديه لذلك، فهو قدس سره لا بدّ أنّه كان يريد كتابتها بمنهج آخر يتواءم مع قراءته المنهجيّة للّه والدين والإنسان، وأوقفني حديث مختصر لأحد العلماء الأعلام عن وجود مسار تدرّجيّ للأنبياء عبر التاريخ، ممّا دعاني أن أحاول رسم ذلك المسار بشكل علميّ مقبول، وكنت كلّما وجدت شاهدًا حول

ذلك المسار ألحقته بجملة من الأوراق التي احتفظت بها، إلى أن اكتملت صورة مخطَّط للمجتمع الإنسانيّ عبّرت عنه بقافلة البشريّة أو الإنسانيّة، وذلك للتعبير عن كون المخطّط لمجتمع متحرّك لا جامد، لكنّ هذه الصورة المكتملة في رسمها حوَت نوعين من الأفكار، نوعًا حاز على الشاهد التحقيقيّ المُقنِع، ونوعًا بقي في دائرة الاحتمال الظنيّ دون شاهد من النوع السابق. وقد قدّمت هذه الصورة في كلمة ألقيتها في مسجد القائم عجّل الله فرجه الشريف، ثمّ وسّعتها في ورشة علميّة، ثمّ ألبستها ثوب الكلمات ضمن «سلسلة على منبر القائم عجّل الله فرجه الشريف»، لتكون مادّة قابلة للتوسعة وزيادة التحقيق من قبل العلماء الأجلّاء، سائلاً المولى تعالى القبول.

أكرم بركات

بيروت، مسجد القائم عجّل الله فرجه الشريف

سرّ الخلق

لماذا خلق اللّه العالمَ؟

إنّ الجواب ينبع من معرفة صفات اللّه تعالى التي منها الحكمة، وهي تعني وضع الشيء في موضعه المناسب. ومن المعلوم أنّ عدم وضعه كذلك ينشأ من صفات جلّت الذات المقدّسة عنها كالجهل والعجز والبخل، وكلّها مسلوبة عنه عزّ وجلّ بالدليل العقليّ القطعيّ.

وبما أنّ هذا العقل هو الذي أوصل إلى الاعتقاد بأنّه حكيم، فمنه ينبثق السؤال عن سرّ حكمته في إيجاد المخلوقات.

والجواب لا بدّ أن يتواءم مع سائر صفاته تعالى التي منها صفة الغنى وعدم الحاجة إلى أيّ شيء، وبالتالي فإنّ

الحكمة من وجود الخلق لا بدّ أنْ ترجع إلى المخلوقات نفسها، أي لصالحها، طالما أنْ لا مصلحة ترجع إلى اللّه الغنيّ.

على هذا الأساس، فإنّ الإجابة عن سرّ الخلق قد يكمن في كلمة واحدة هي «**الكمال**»، فهو خلقها لأجل كمالها.

والكمال للمخلوقات يتحقّق بنوعين:

الأوّل: الكمال القهريّ، فالكواكب تتكامل في سيرها القهريّ، إشعاعًا في الشمس، وإضاءةً في القمر، ودورانًا في الأرض، والملائكة تتكامل تسبيحًا وتقديسًا، وعروجًا وتدبيرًا، والتربة تتكامل بذرةً، ثمّ نبتةً، ثمّ نطفةً، ثمّ بيضةً، ثمّ فرخًا، والفرخ يتكامل نسرًا يحلّق في عنان السماء، وهكذا.

الثاني: الكمال الاختياريّ، ونموذجه الأرقى هو الإنسان

الذي أراد اللّه تعالى من خلقه أن يتكامل في سيره بإرادته الاختياريّة.

وممّا لا شكّ فيه أنّ السير التكامليّ الاختياريّ هو أرقى من التكامل الاضطراريّ القهريّ.

والتكامل الإنسانيّ يتصوّر بشكل واضح في فرد الإنسان من خلال علاقته بالكمال المطلق، فكلّما اقترب منه كلّما ازداد تألّقًا في كماله.

وهذا الكمال يمكن تحقيقه في أيّ إنسان، مهما كانت الظروف التي يمرُّ بها والبيئة التي يعيش فيها، وكفى مثلاً صارخًا في هذا الأمر امرأة فرعون التي كانت سيّدة قصره، وقد وقف أمام إيمانها أمران أساسيّان:

الأوّل: ترك رغد العيش ونعيمه.

الثاني: مواجهة العذاب من قبل فرعون الذي كان يستعبد الناس.

ومع الصعوبة البالغة في هذه البيئة أصرّت آسية بنت

مزاحم على موقف الإيمان والتزكية رغم أنّها مُدّت بين أربعة أوتاد في تعذيبها الشديد، ومع ذلك صمدت، فقدّمها الله تعالى نموذجًا بقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

لذا لا يصحّ لأحد الإدّعاء بمنع مانع من السير في طريقِ كماله الفرديّ.

بعد هذا نسأل:

هل الكمال الإنسانيّ يقتصر على كمال الفرد، أو أنّه يوجد كمال آخر يتعلّق بالقافلة الإنسانيّة؟

وبعبارة أخرى: هل هناك تقدير إلهيّ لمسيرة الناس بحيث ينتهي المجتمع الإنسانيّ إلى خاتمة لعلّها ذات صفة كماليّة تتناسب مع حكمة الله تعالى؟

(١) سورة التحريم، الآية ١١.

وبلغة أخرى: ما هي خلفيّة الإجابة الإلهيّة في الحوار الذي جرى بين الله تعالى والملائكة حينما سألته بلغة الاعتراض: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾[١]، فقال عزّ وجلّ لها: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٢]، فهل معنى ذلك أنّ الصفحات القادمة من تاريخ البشريّة ستُختم بنهاية بيضاء ناضرة بعد السواد الحالك؟

إنّ هذا السؤال بصيغه المتعدّدة هو محور البحث الآتي حول التقدير الإلهيّ لقافلة البشريّة.

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠.
(٢) المصدر نفسه.

هداة الكمال

هل يمكن للإنسان، وحده، أنْ يعرف الطريق التي يُحقِّق بسلوكها كماله، دون الاستعانة بأيّ أمرٍ خارجٍ عن قدراته الذاتيّة؟

هل يستطيع الإنسان بفطرته وحواسّه وعقله أن يتعرّف على سبيل الكمال ليعرج من خلاله؟

إنّ التأمّل بقدرات الإنسان، وبطريق الكمال التي يجب أن يوائم فيها بين الروح والجسد، والفرد والمجتمع، والحياة كلّها بما فيها الدنيا وما بعدها، يوضح أنّه غير قادر على معرفة تلك الطريق، وعليه فقد أوجبتْ حكمةُ اللّه الذي خلق الإنسان لأجل سلوك طريق الكمال أن يوضح له معالم تلك الطريق، ويرشده إليها، وهذا ما يكون إمّا بالتلقين الإلهيّ للإنسان، وإمّا من خلال توسيط إنسان قد عرّفه اللّه تعالى

معالم تلك الطريق، وجعله سفيرًا بينه وبين سائر عباده، وهو ما يُطلَق عليه «النبيّ».

الأنبياء

إذًا أنبياء اللّه عليهم السلام هم سفراؤه إلى البشريّة؛ ليوجّهوهم للسير في طريق كمالهم.

وفي هذا الإطار بعث اللّه تعالى مئة وأربعةً وعشرين ألف نبيّ، ليؤدّوا هذه المهمّة، حسب ما أكّدته بعض الأحاديث النبويّة، فقد ورد أنّ أبا ذرّ سأل النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول اللّه: كم النبيّون؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ»[1].

الأهداف المشتركة للأنبياء عليهم السلام

للأنبياء عليهم السلام جميعًا أهداف مشتركة يريدون للناس

(١) الصدوق، محمّد، معاني الأخبار، تحقيق علي أكبر الغفّاريّ، (لا، ط)، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٣٧٩م، ص ٣٣٣.

أن يصلوا إليها، منها ما يتعلّق بالمعارف، ومنها ما يتعلّق بتهذيب النفس، ومنها ما يتعلّق بالعمل الصالح، إلاّ أنّ جميع هذه الأهداف ترجع إلى هدفٍ سام بعث الأنبياء عليهم السلام لأجله، وتعتبر جميع تلك الأهداف جميعها مقدمةً له، ألا وهو معرفة الناس بالله وبالعالم، وإراءة العالم كما هو، لا بالشكل الذي ندركه، ولأجل تحقيق هذا الهدف كان للأنبياء وظيفتان أساسيّتان:

الأولى: إنقاذ الناس من أسر النفس، وأسر ذاتها.

والثانية: إنقاذ الناس والضعفاء من سلطة الظالمين(١).

بناءً على ما تقدّم، فإنّ المهامّ المتنوِّعة التي ستأتي للأنبياء - وقد تكون مدار التفاضل بينهم - إنّما هي بما زاد على هذه الأهداف المشتركة، كما أنّ ما سيأتي من تحديد وظيفيّ لبعض الأنبياء إنّما هو من باب التركيز في المهمّة، لا من باب الانحصار فيها.

(١) أنظر: الإمام الخمينيّ، روح الله، منهجيّة الثورة الإسلاميّة، إعداد ونشر مؤسّسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخمينيّ، ط٢، طهران، ٢٠٠٦م، ص ٤٨-٥١.

الرسل

إنّ إرشاد الأنبياء عليهم السلام إلى طريق الكمال الإنسانيّ لا بدّ له من رسالة هي عبارة عن خارطة الطريق للوصول إلى الكمال، وقد خصّ اللّه تعالى بعض أنبيائه بالرسالات الإلهيّة على أن يكون بقيّة الأنبياء عليهم السلام في موقع الإرشاد والتوجيه إلى تلك الرسالات، وقد أطلق اللّه تعالى على الأنبياء الذين اختصّهم بالرسالات مصطلح «الرسل» وهم الذين سأل عنهم أبو ذرّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في الرواية السابقة: كم المرسلون منهم، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث مائة وثلاثة عشر جمًا غفيرًا»[١].

أولو العزم

ومن بين أولئك الرسل اختصّ اللّه تعالى خمسة منهم بمصطلح «أولي العزم» الذي أطلقه القرآن

(١) الصدوق، محمّد، معاني الأخبار، ص ٣٣٣.

الكريم بقوله:﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[١]، وعدّهم رسول الله محمّد ﷺ بقوله: «الأنبياء...منهم خمسة أولو العزم»[٢]. وحدّد الإمام الباقر عليه السلام أسماءهم بقوله: «أولو العزم من الرسل خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلوات الله عليهم أجمعين»[٣].

سرّ أولي العزم

عرفنا سابقًا الفارق بين الأنبياء عليهم السلام والرسل عليهم السلام، لكن ما هو الفارق بين أولي العزم وسائر الرسل؟

(١) سورة الأحقاف، الآية ٣٥.
(٢) الكلينيّ، محمّد، الكافي، تحقيق عليّ أكبر الغفاريّ، ط٤، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٦٥هـ، ج١، ص ٢٢٤.
(٣) الصدوق، محمّد، الخصال، تحقيق عليّ الغفاريّ، (لا، ط)، قم، جماعة المدرسين،١٤٠٣هـ، ص ٣٠٠.

هل هو في العزم بمعناه المعروف الذي هو عقد القلب على إمضاء الأمر بإرادة صلبة قويّة[١]؟ أو بمعنى الصبر[٢]؟.

أليس هذا المعنى موجوداً عند جميع الرسل؟

من المؤكّد أنّ المرسَلين جميعهم من أولي العزم بهذين المعنيين. لذا لا بدّ من البحث عن معنى أعمق لأولي العزم.

ولمعرفة ذلك المعنى العميق نستعين بالنصوص المفسِّرة لأولي العزم عليهم السلام من الرسل، والتي طرحت ثلاثة تعليلات لسرّ تسميتهم بذلك، وهي:

١- أنّهم أصحاب الشرائع

ورد هذا التعليل في رواية عن الإمام الرضا عليه السلام:

«إنّما سمّي أولو العزم؛ لأنّهم كانوا أصحاب الشرائع والعزائم»[٣].

(١) ابن منظور، محمّد، لسان العرب، (لا.ط)، بيروت، دار صادر، (لا.ت)، ج١٢، ص٢٩٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٠٠.
(٣) الحرّ العامليّ، زين الدين، الفصول المهمّة في أصول الأئمّة، تحقيق محمّد بن حسين القائينيّ، ط١، قم، مؤسّسة معارف إسلامي، ١٤١٨هـ،، ج١، ص ٤٢٨.

٢- أنّهم عالميّون

ورد أنّه سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن معنى أولي العزم، فأجاب: «بُعِثوا إلى شرق الأرض وغربها، جنّها وإنسها»(١).

٣- أنّهم محاور حركة الإنسانيّة

وهذا التعليل ورد في رواية معتبرة عن الإمام الصادق عليه السلام: «سادة النبيّين والمرسلين خمسة، وهم أولو العزم من الرسل، وعليهم دار الرحى: نوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام وموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى جميع الأنبياء»(٢).

فقوله عليه السلام: «وعليهم دار الرحى» يفيد أنّهم المحور الأساس لحركة القافلة الإنسانيّة، فإنّ هذه القافلة بتاريخها ومستقبلها يمكن أن تقرأ من خلال الأحداث،

(١) المفيد، محمّد، المزار، تحقيق محمّد باقر الأبطحي، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ، ص ٤٢.
(٢) الكلينيّ، محمّد، الكافي، ج١، ص ١٧٥.

كما يمكن أن تُقرأ من خلال أبطالها وأعدائهم. وقد عرض القرآن الكريم تاريخ البشريّة من خلال الأنبياء عليهم السلام ومناوئيهم، مركِّزًا على الرسل عليهم السلام منهم، إلّا أنّ التأكيد كان على أولي العزم عليهم السلام من الرسل عليهم السلام باعتبار أنَّ مراحلهم تمثّل المحطّات الأساسيّة من تاريخ البشريّة.

وبما أنّ نوحًا عليه السلام هو الأوّل من أولي العزم، فهذا يعني أنّ المحطّات الأساسيّة التي استعرضها القرآن الكريم تبدأ من الجيل الثاني للبشريّة، وهو من كان على تلك السفينة الناجية من غرق العالَم، لذا فإنّ بداية المحطّات هي محطّة نبيّ اللّه ورسوله وأوّل أولي العزم نوح عليه السلام.

النبيّ نوح عليه السلام
رسول المحطّة الأوّلى

ما هو العنوان الأساس الذي أراد رسول اللّه نوح عليه السلام أن يحقّقه في محطّته الطويلة نسبةً إلى عمره كذلك؟

وبعبارة أخرى: في أيّ بيئة ثقافيّة عاش النبيّ نوح عليه السلام ، وما هي النقلة النوعيّة التي أراد أن يحدثها في ذلك المجتمع؟

إنّ القرآن الكريم يوضّح لنا أنّ مجتمع النبيّ نوح عليه السلام كان ينكر الاتصال بين اللّه تعالى والناس عبر رسول بشريّ، وبالتالي فإنّ تواصل ذلك المجتمع مع اللّه كان مقطوعًا.
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ

عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[١].

وما يُفهم من هذه الآية هو أنّ مشكلة قوم النبيّ نوح عليه السلام لم تكن في الإيمان بالله تعالى، ولا في تقبّل أصل التواصل بين الله عزّ وجلّ والإنسان، بل هي في كون الوسيط في هذا التواصل هو إنسان مثلهم، فإنّ استكبارهم منعهم من هذا الإيمان، وهم يتشابهون في موقفهم هذا مع إبليس الذي لم تكن مشكلته هي الإيمان بالله تعالى ولا بالسجود له، إنّما كانت في السجود للإنسان الذي يرى إبليس نفسه بأنّه أفضل منه.

وقد حاول النبيّ نوح عليه السلام أن يوجد التواصل بين الناس وربِّهم عبر الرسول الإنسان، إلاّ أنّ المهتدين بدعوته كانوا قلّة.

(١) سورة المؤمنون، الآيتان ٢٣-٢٤.

ويوضِّح القرآن الكريم أنّ الأمر قد وصل إلى حدِّ اليأس من تديّن سائر الناس غير مَنْ سبق إيمانه، لذا أوحى اللّه تعالى إلى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يصنع سفينة النجاة لتنقذ من عليها من الطوفان الأعظم. قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٣٦ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[١].

نعم، استطاع النبيّ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يبني مجتمعًا يؤمن بالتواصل بين اللّه تعالى والناس عبر الرسول الإنسان، إلاّ أنّه كان مجتمعًا يتناسب في حجمه مع سفينة الطوفان.

المحطة الأولى	
قائدها	النبيّ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ
عنوانها	إيجاد المجتمع المؤمن بالتواصل مع اللّه عبر الرسل

(١) سورة هود، الآيتان ٣٦-٣٧.

النبيّ إبراهيم عليه السلام
رسول المحطّة الثانية

انحرف العديد من المجتمعات البشريّة بعد رسول الله نوح عليه السلام عن مسار العلاقة الصحيحة بالله تعالى، حتى وصلت إلى عبادة التماثيل، فبعث الله تعالى رسوله إبراهيم عليه السلام، لتكون له مهمّة أساسيّة هي بناء مجتمع التوحيد المعتقِد بأنّ المعبود ينحصر بالله الواحد.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ۝٥٣ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٥٤ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[١].

وقد استطاع نبيّ اللّه إبراهيم عليه السلام بناء مجتمعٍ موحِّد مؤمن باللّه تعالى نابذٍ للتماثيل والأصنام، وقد تجلّى مجتمع التوحيد بأبناء خليل اللّه إبراهيم عليه السلام الذين استجاب اللّه تعالى فيهم دعوته التي حدّثنا عنها القرآن الكريم بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[٢].

من هذه المحطّة الإبراهيميّة، ومن صلب النبيّ إبراهيم عليه السلام نشأ أبناء الدين الحنيفيّ الموحِّد للّه تعالى من أبناء إسماعيل عليه السلام، كما نشأ مجتمع بني إسرائيل الموحِّد للّه تعالى من أبناء إسحاق عليه السلام، والذي عانى محنًا وخطوبًا أوصلته إلى حالة الاستعباد في عصر فرعون، ليرسل اللّه تعالى لهم نبيًّا يخلِّصهم من محنتهم، ويكون قائد المحطّة الثالثة، وهو رسول اللّه موسى عليه السلام.

(١) سورة الأنبياء، الآيات ٥١-٥٦.
(٢) سورة إبراهيم، الآية ٣٥.

المحطة الثانية	
قائدها	النبيّ إبراهيم عليه السلام
عنوانها	بناء مجتمع التوحيد

النبيّ موسى عليه السلام
رسول المحطّة الثالثة

بعد العبور من محطّة التواصل مع اللّه تعالى عبر الرسول الإنسان، إلى محطّة مجتمع التوحيد، أراد اللّه تعالى أن يرقّي المجتمع إلى محطّة ثالثة بأن يتحوَّل مجتمع التوحيد إلى مجتمع تشريعيّ يعيش أفراده في ضوء الشريعة الإلهيّة، وكان قائد هذه المحطّة نبيّ اللّه موسى عليه السلام.

من هنا نلاحظ التأكيد القرآنيّ على دور الكتاب والألواح والرسالات في محطّة النبيّ موسى عليه السلام، وهذا ما نقرؤه في الآيات الآتية:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[1].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ٤٩.

﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾(١).

﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾(٢).

﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾(٣).

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾(٤).

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ﴾(٥).

من هنا نجد أنّ اليهود، رغم التحريف الذي دخل على كتبهم المقدّسة، فإنّ مجتمعهم يتميّز بالاهتمام بالجوانب التشريعيّة بين أفراده.

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٤.
(٢) سورة الإسراء، الآية ٢.
(٣) سورة الأعراف، الآية ١٤٥.
(٤) سورة الأعراف، الآية ١٤٤.
(٥) سورة هود، الآية ١١٠.

المحطة الثالثة	
قائدها	النبيّ موسى عليه السلام
عنوانها	بناء المجتمع التشريعيّ

المحطّة الرابعة
بين النبيّين عيسى عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله وسلم

بعد أن ارتقى المجتمع البشريّ من محطّة الإيمان بالتواصل بين اللّه تعالى والناس عبر الرسول الإنسان، إلى محطّة الاعتقاد بتوحيد اللّه تعالى، إلى محطّة المجتمع التشريعيّ، فما هي المحطّة التالية التي خطّط اللّه تعالى لوصول المجتمع الإنسانيّ إليها؟

إنّها محطّة الحكومة الإلهيّة العالميّة، إلاّ أنّ السؤال: متى تتحقّق هذه المحطّة التي تُعتبر خاتمة المحطّات التي تصل قافلة الإنسانيّة فيها إلى أوج كمالها؟

يجيب القرآن عن هذا السؤال بقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[1].

إنّ هذه الآيات تفيد أنّ هدف إرسال اللّه رسوله محمّدًا صلى الله عليه وآله وسلم هو إظهار الدين أي غلبته على كلّ الأديان، وبالتالي فإنّ شريعة هذا الدين ستحكم المجتمعات، وعندها تتحقّق الحكومة الإلهيّة الكبرى.

لكن من الواضح أنّ هذه النبوءة لم تتحقّق في زمن خاتم الرسل محمّد بن عبد اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا يعني أنّ دين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الإسلام، سيكون دين الحكومة الإلهيّة العالميّة بغياب شخص النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا الأمر أكّده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم نفسه حينما تحدّث عن لا بديّة وصول قافلة البشريّة إلى كمالها، ولكن بعد حين، بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لو لم يبقَ من الدنيا إلاّ يوم واحد**

(١) سورة التوبة، الآيات ٣١-٣٣.

لطوّل الله عزّ وجلّ ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي، فيملأها عدلاً وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا»[١].

إذًا، إنّ المحطّة الرابعة هي محمّديّة الدين بقيادة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، لكنَّ السؤال يبقى عن دور النبيّ عيسى عليه السلام الذي هو الرسول الرابع من أولي العزم، والذي بحسب التسلسل المنطقيّ السابق، كان يفترض أن يكون هو قائد محطّة الحكومة الإلهيّة.

وما يعزّز هذا الافتراض أنّه ركّز دعوته وتبليغه وحركته الإصلاحيّة على المجتمع اليهوديّ أي مجتمع الشريعة الذي يعيش المحطّة الثالثة، إلاّ أنّ أحبار اليهود منعوه من النجاح في هذه الحركة، وحالوا بينه وبين الوصول إلى هدفه.

تُرى، هل كان سرُّ رفع الله تعالى لرسوله عيسى بن مريم عليهما السلام هو أنّه لم يستكمل دوره في تحقيق المحطّة

(١) الصدوق، محمّد، كمال الدين وتمام النعمة، (لا، ط)، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤٠٥هـ، ص ٣١٨.

الرابعة، وهي الحكومة الإلهيّة، لذا رفعه اللّه إليه لينزله في زمن قائد تلك المحطّة، وهو الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف، ليؤازره ويشاركه صناعة الحكومة الإلهيّة العالميّة، كما أكّدته النصوص الإسلاميّة التي منها ما ورد عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: «ينزل عيسى بن مريم عليهما السلام ...بيده حربة... يهلك الدجال، ويقبض أموال القائم، ويمشي خلفه أهل الكهف، وهو الوزير الأيمن للقائم وحاجبه ونائبه»[1].

وبهذا تتحقّق الحكومة الإلهيّة الكبرى عبر حفيد ابراهيم عليه السلام الإسماعيليّ، يؤازره حفيده الإسحاقيّ.

ترى ما هي دخالة ذلك بوصف «باراقليط»[2]، الذي ترجم في اللغة العربيّة بـ «المعزّي»، والذي ينطبق على النبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ فقد ورد في الإنجيل:

(١) البحراني، هاشم، غاية المرام، تحقيق علي عاشور، (لا، ط)، (لا،ن)، (لا،ت)، ج٧، ص ٩٣.

(٢) الكتاب المقدّس، العهد الجديد، ط٤، بيروت، المكتبة الشرقيّة، ١٩٨٦م، ص ٣٣٧، حاشية ١٦.

- «وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيًا آخر؛ ليمكث معكم إلى الأبد»[1].
- «ومتى جاء المعزِّي الذي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحقّ الذي من عند الأب، فهو يشهد لي»[2].
- «لكنّي أقول لكم الحقّ إنّه خير لكم أن أنطلق؛ لأنّه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي، ولكن إن ذهبت أرسله لكم»[3].

ترى هل سرُّ كون النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، على فرض صحّة ما تقدّم، هو أنّه يمثّل المعزِّي والمسلِّي للنبيّ عيسى عليه السلام بكون الحكومة الإلهيّة سوف تتحقّق على يد حفيده الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف بموازرة النبيّ عيسى عليه السلام، وبهذا تكون التعزية للسيّد المسيح؟!

---

(١) العهد الجديد والمزامير، (لا، ط)، بيروت، دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط، ١٩٨٥م، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٤، فقرة ١٦.
(٢) العهد الجديد والمزامير، إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٥، فقرة ٢٦.
(٣) المصدر السابق، الإصحاح ١٧، فقرة ٧.

الخلاصة

المحطّات الرئيسيّة لقافلة الإنسانيّة	
الأولى	ربط الناس باللّه عبر الرسول الإنسان
قائدها	نبيّ اللّه نوح عليه السلام
الثانية	بناء المجتمع التوحيديّ
قائدها	نبيّ اللّه إبراهيم عليه السلام
الثالثة	بناء المجتمع التشريعيّ
قائدها	نبيّ اللّه موسى عليه السلام
الرابعة	إقامة الحكومة الإسلاميّة الإلهيّة
دينها	الإسلام المحمّديّ
قائدها	حفيد النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف
وزير القائد	نبيّ اللّه عيسى عليه السلام

الواعون لمسار القافلة الإنسانيّة

قال اللّه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾[1].

اللافت في هذه الآية أمران:

الأمر الأوّل: أنّه وصف المؤمنين باللّه ورسله بأنّهم الصدّيقون والشهداء عند ربّهم، مع أنّ كلّ المسلمين يؤمنون باللّه ورسله، فهل يعني هذا أنّ جميع المسلمين هم صدّيقون وشهداء؟

من الواضح أنّ هذا الأمر غير صحيح، لا سيّما عند التأمّل بمعنى «**الصدّيق**»، فإنّه من تحقّق فيه أمور ثلاثة هي:

١-أن يكون خبره مطابقًا للواقع.

٢-أن يكون متيقّنًا بما يخبر عنه.

---

(١) سورة الحديد، الآية ١٩.

٣-أن يكون فعله ملازمًا لقوله، أي سرى الصدق في قوله وفعله، فيفعل ما يقول، ويقول ما يفعل[١].

فهل كلّ المسلمين هم كذلك؟!!

الأمر الثاني: أنّ هذه الآية تحدّثت عن الإيمان باللّٰه ورسله، كما هو في العديد من الآيـات، إلـى جانب آيات قرآنيّة أخرى عبّرت «**باللّٰه ورسوله**» وهما الركنان اللذان يعتبر الإيمان بهما لتحقّق الهويّة الإسلاميّة، ومن هذه الآيات:

١-﴿ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٢].

٢-﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٣].

٣-﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٤].

٤-﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ﴾[٥].

---

(١) الطباطبائيّ، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ط٥، بيروت، الأعلمي، ١٩٨٣م، ج١٩، ص ١٦٣.
(٢) سورة النور، الآية ٦٢.
(٣) سورة النور، الآية ٦٢.
(٤) سورة الفتح، الآية ١٣.
(٥) سورة الأعراف، الآية ١٥٨.

٥-﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[١].

٦-﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٢].

إنّ التأمّل بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ...﴾[٣]، يفيد أنّه يشير إلى أنّ وصف الصدّيقين يعود لمن يؤمن بحركة الرسل التي، كما ذكرنا سابقًا، عرضها اللّه تعالى على أنّها حركة القافلة الإنسانيّة، وعليه فإنّ الإيمان بهذه الحركة والوعي بها هو الذي يمنح وسام الصدّيقين للمؤمنين بها، مع ملاحظة أنّ معنى الصدّيقين يتضمّن أن يكون فعل هؤلاء المؤمنين الواعين منسجمًا مع إيمانهم ووعيهم وهو ما نتحدّث عنه لاحقًا.

---

(١) سورة النساء، الآية ١٣٦.
(٢) سورة الصف، الآيتان ١٠-١١.
(٣) سورة الحديد، الآية ١٩.

وقبل ذلـك نتعرّض لنكتة لافتة تـدور حـول بعض من منحهم القرآن الكريم وأحاديث الرسول الأكرم ﷺ وسام الصدِّيق.

الصدِّيقة في القرآن الكريم

أطلق القرآن الكريم وصف الصدِّيقة على السيّدة مريم بنت عمران عليها السلام، قال اللّه تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾[1].

إنّ وصف السيّدة الجليلة مريم عليها السلام بالصدّيقة يعني، بحسب ما تقدّم، أنّها واعية لحركة قافلة البشريّة في تاريخها ومستقبلها، وأنّ عملها متوافق مع هذا الوعي والإيمان.

والبارز في عمل السيّدة مريم عليها السلام هو تضحيتها الكبيرة بحملها الإعجازيّ بنبيّ اللّه عيسى عليه السلام، رغم التداعيات الحسّاسّة التي تعرّضت لها عليها السلام في طعنها بأشرف ما يهمّ قدّيسة مثلها، لكن ما يهوِّن الأمر عليها هو

(١) سورة المائدة، الآية ٧٥.

اعتقادها وإيمانها ووعيها بقافلة الإنسانيّة التي سيكون فيها ولدها النبيّ عليه السلام وزيرًا للإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف في إقامة الحكومة الإلهيّة العالميّة التي هي هدف الأنبياء والمرسلين والأوصياء والأولياء عبر التاريخ.

أترى، هل إنّ ما أسكن نفسها هو ما حدّثتها الملائكة بشخص الملك جبرئيل أنّ ولدها المسيح عليه السلام سيكون له ذلك الدور العظيم في الحكومة الإلهيّة العالميّة؟ وهذا ما يتواءم مع كونه وجيهًا في الدنيا كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾(١).

أتُرى، هل تتواءم البشارة مع الموقف الصعب الذي ستواجهه السيّدة مريم عليها السلام أمام قومها حينما يسألونها عن ولدها، وهي من دون زوج؟

(١) سورة آل عمران، الآية ٤٥.

أو أنّ البشارة تتواءم مع المستقبل الآتي الذي سيكون فيه ولدها وجيهًا في الدنيا لمساهمته في تحقيق الحكومة الإلهيّة، وبالتالي يكون وجيهًا في الآخرة أيضاً؟

الصدِّيقة في أحاديث النبيّ ﷺ

اللافت في الأحاديث الواردة عن الرسول الأكرم ﷺ أنّه أطلق مصطلح الصدّيقة على السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام في قوله الوارد عنه ﷺ: «**فاطمة هي الصدّيقة الكبرى، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى**»[1]، وفي هذا إشارة إلى اعتقادها عليها السلام ووعيها لمسار القافلة الإنسانيّة التي ستتوَّج بقيادة حفيدها الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف للحكومة الإلهيّة العالميّة، ولعلّ ارتباطها عليها السلام بدور حفيدها في تحقيق ما كان يرنو إليه الأنبياء والأولياء هو أحد أسرار دوران القرون الأولى على معرفتها، فالقرون الأولى مرتبطة بما ستؤول إليه قافلة الإنسانيّة في تحقيق الحكومة الكبرى، ولولا كون

---

(١) الكجوريّ، محمّد باقر، الخصائص الفاطميّة، ط١، انتشارات الشريف الرضي، (لا،م)، ١٣٨٠ش، ج١، ص ٢٢٣.

الزهراء أمًّا للأئمّة عليهم السلام، ولولا دورها في حفظ الإسلام لما تحقّقت غاية الخلق في تلك الحكومة.

والمثير للاهتمام هو الأمر المشترك في حياة كلٍّ من السيّدة مريم عليها السلام والسيّدة فاطمة عليها السلام، وهو حديث جبرئيل مع كلٍّ منهما، فعن الإمام الصادق عليه السلام في رواية معتبرة[1]: «**إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خمسة وسبعين يومًا، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيِّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريّتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام**»[2].

(١) أنظر: بركات، أكرم، مصحف فاطمة، ط٦، بيروت، بيت السراج، ٢٠١٢م، ص ٦٨-٧١.

(٢) الكليني، محمّد، الكافي، ج١، ص ٢٤١. الصفار، محمّد، بصائر الدرجات، (لا، ط)، طهران، منشورات الأعلميّ، ١٤٠٤هـ، ص ١٥٤-٥٠٣، حديث ٦٨. المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٢٦،ص ٤١. ابن شهر آشوب، محمّد، المناقب، (لا، ط)، النجف الأشرف، المكتبة الحيدريّة، ١٣٧٦هـ، ج٣، ص ٣٣٧ (أورده مختصرًا).

إنّ مناسبة نزول الملك جبرئيل على السيّدة الزهراء عليها السلام في هذه الرواية هي تعزيتها وتسليتها بمناسبة رحيل أبيها النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم. لكنْ هل تتناسب التعزية والتسلية مع إخبارها بما سيحدث مع أولادها من مأساة؟ أتكون تسليتها بإخبارها عن شهادة ولدها الحسن عليه السلام مسمومًا، وشهادة ولدها الحسين عليه السلام مذبوحًا من الوريد إلى الوريد، وعن شهادة أحفادها ومعاناتهم الشديدة أم أنَّ ما يهوِّن كلّ هذه الخطوب هو إخبارها أنّ هذه التضحيات ستختم بظهور حفيدها الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف ليكون قائدًا للحكومة الإلهيّة العالميّة محقّقًا بها هدف اللّه من خلق الإنسان؟ وبالتالي فيكون ما أسكن السيّدة الزهراء عليها السلام هو حديث جبرئيل عليه السلام عن دور حفيدها في تحقيق غاية الخلق، وهو مماثل لما قد يكون أسكن فؤاد مريم عليها السلام من حديثه حول دور ابنها في مؤازرة المهديّ عجل الله فرجه الشريف في تحقيق تلك الغاية.

الصدِّيقون في كربلاء

في محرّم من العام ٦١ للهجرة وصل المخطّط الأمويّ لمحو الإسلام المحمّديّ الأصيل إلى مشارف التحقّق، ممّا استدعى من الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه أن ينهضوا بالثورة الاستشهاديّة التي لولاها لاندثر ذلك الإسلام، وبالتالي انتفت غاية الخلق من وصول قافلة البشريّة إلى كمالها المنشود. وقد تميّز أهل بيت الحسين عليه السلام وأصحابه ببصيرة عالية في معرفة دورهم في المحافظة على السير التكامليّ للإنسانيّة، وهم الذين وُصِفوا بـ «**أهل البصائر**»[١] أي النخبة الواعية من الأمّة، وبذلك كانوا من الصدّيقين الواعين للمخطّط الإلهيّ، لذا أخبرهم الإمام

---

(١) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٤٥، ص ١٩.(أنظر لمعرفة معنى البصائر: بركات، أكرم، كيف نبني مجتمعًا أرقى، ط١، بيروت، بيت السراج، ٢٠١٣م، ص ٩٨-١٠٢).

الحسين عليه السلام بالمكافأة بكرامة إلهيّة هي أنّ اللّه تعالى سيخرجهم في زمن تلك الحكومة؛ ليروا بأعينهم تحقّق تلك الغاية التي يستشهدون لأجلها، وقد أخبرهم الإمام الحسين عليه السلام بهذه المكافأة في ليلة العاشر من المحرّم كما حدّثنا بذلك الإمام الباقر عليه السلام فيما ورد عنه عليه السلام بأنّ الإمام الحسين عليه السلام قال لهم في تلك الليلة: «**أبشروا بالجنّة، فواللّه، إنّا نمكث ما شاء اللّه بعد ما يجري علينا، ثمّ يخرجنا اللّه وإيّاكم حتى يظهر قائمنا، فينتقم من الظالمين، وأنا وأنتم نشاهدهم في السلاسل والأغلال وأنواع العذاب**». فقيل له: من قائمكم يا بن رسول اللّه؟ قال عليه السلام: «**السابع من ولد ابني محمّد بن علي الباقر عليه السلام، وهو الحجّة ابن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ ابني، وهو الذي يغيب مدّة طويلة، ثمّ يظهر ويملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا**»[١].

(١) الطبرسيّ، حسين، النجم الثاقب، ط١، قم، أنوار الهدى، ١٤١٥هـ، ج١٠، ص ٥١١.

إنّه حديث عن الرّجعة التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[1]، فالآية الكريمة تتحدّث عن حشر خاص يختلف عن حشر يوم القيامة الذي هو حشر عام عبّر اللّه تعالى عنه بقوله عزّ وجل:

﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[2].

وقد ورد في الرّجعة أحاديث عديدة أحصاها العلاّمة المجلسيّ بما يقترب من مئتي حديث صريح رواها نيف وأربعون من الثقاة العظام، والعلماء الأعلام في أزيد من خمسين من مؤلّفاتهم في ذلك العصر[3].

ولعلّ سرّ رجعة البعض من أهل الإيمان هو لكونهم صدّيقين واعين للمخطّط الإلهيّ، وقد يكون وعيهم اقتضى أن يقدّموا أنفسهم في سبيل اللّه في مسار ذلك

---

(١) سورة النمل، الآية ٨٣.
(٢) سورة الكهف، الآية ٤٧.
(٣) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٥٣، ص ١٢١.

المخطّط، فأراد الله أن يكافئهم بأن يريهم الحكومة الإلهيّة بأمّ أعينهم بوساطة إرجاعهم في عصر الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

المخطّط الإلهيّ
وسرُّ العلاقة بالنبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام

إنّ الوعي للتقدير الإلهيّ، ودور النبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام في الحفاظ على الإسلام المحمّديّ الأصيل الذي من خلاله ستتحقّق الحكومة الإلهيّة الكبرى التي هي هدف الأنبياء يعرِّفنا سرًّا من أسرار علاقة الأنبياء بالنبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام من خلال التوسّل بهم والبكاء عليهم، وإظهار مودّتهم، ونحو ذلك؛ لما لهم من دور في تحقيق هدفهم الأعلى المتعلِّق بغاية الخلق، وهذا ما نقرؤه في أحاديث عديدة منها:

١- انجذاب الأنبياء للرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام

نبيّ الله نوح عليه السلام

عن الرسول الأكرم ﷺ: «لمّا أراد الله أن يهلك قوم نوح

... ضرب [أي نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ] بيده إلى مسمار، فأشرق بيده، وأضاء كما يضيء الكوكب الدريّ في أفق السماء، فتحيّر نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأنطق الله المسمار بلسان طلق ذلق، فقال: أنا على اسم خير الأنبياء محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. فهبط جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال له: يا جبرئيل، ما هذا المسمار الذي ما رأيت مثله؟ فقال: هذا باسم سيّد الأنبياء محمّد ابن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أسمره على أوّلها على جانب السفينة الأيمن. ثمّ ضرب بيده إلى مسمارٍ ثانٍ، فأشرق وأنار، فقال [نوح]: وما هذا المسمار؟ فقال: هذا مسمار أخيه وابن عمّه سيّد الأوصياء عليّ ابن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأسمره على جانب السفينة الأيسر في أوّلها، ثمّ ضرب بيده إلى مسمار ثالثٍ فزهر وأشرق وأنار، فقال جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: هذا مسمار فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، فأسمره إلى جانب [مسمار] أبيها، ثمّ ضرب بيده إلى مسمار رابع، فزهر وأنار، فقال جبرئيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: هذا مسمار الحسن، فأسمره إلى جانب

مسمار أبيه، ثمّ ضرب بيده إلى مسمار خامس، فزهر وأنار وأظهر النداوة، فقال جبرئيل عليه السلام: هذا مسمار الحسين عليه السلام»[١].

نبيّ اللّه إبراهيم عليه السلام

عن الإمام الرضا عليه السلام في حديثه عن خليل اللّه إبراهيم عليه السلام بعد ابتلائه بذبح ولده: «فأوحى الله عزّوجلّ إليه: يا إبراهيم، من أحبّ خلقي إليك؟ فقال عليه السلام: يا ربّ، ما خلقت خلقًا هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّد ﷺ، فأوحى اللّه إليه: أفهو أحبّ إليك أم نفسك؟ قال عليه السلام: بل هو أحبّ إليّ من نفسي. قال: فولده أحبّ إليك أم ولدك؟ قال عليه السلام: بل ولده. قال: بذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال عليه السلام: يا رب، بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي. قال: يا إبراهيم، فإنّ طائفة تزعم أنّها من

(١) البحرانيّ، عبد اللّه، العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، محمّد باقر الأبطحي الأصفهانيّ، ط١، قم، مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ١٤٠٧هـ، ص ١٠٥.

أمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ستقتل الحسين عليه السلام ابنه من بعده ظلمًا وعدوانًا، كما يذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي. فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك، وتوجّع قلبه، وأقبل يبكي، فأوحى الله عزّ وجلّ: يا إبراهيم، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل عليه السلام - لو ذبحته بيدك - بجزعك على الحسين عليه السلام، وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1]»[2].

نبيّ الله موسى عليه السلام

في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾[3]: **«واذكروا يا بني إسرائيل، إذ استسقى موسى عليه السلام لقومه، طلب لهم السقيا، لما لحقهم العطش في التيه، وضجّوا**

(١) سورة الصافات، الآية ١٠٧.
(٢) المجلسيّ، محمّد باقر، بحار الأنوار، ج٤٤، ص ٢٢٦.
(٣) سورة البقرة، الآية ٦٠.

بالبكاء إلى موسى عليه السلام، وقالوا: أهلكنا العطش. فقال موسى عليه السلام: اللهمّ بحقّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم سيّد الأنبياء، وبحقّ عليّ عليه السلام سيّد الأوصياء، وبحقّ فاطمة عليها السلام سيّدة النساء، وبحقّ الحسن عليه السلام سيّد الأولياء، وبحقّ الحسين عليه السلام سيّد الشهداء، وبحقّ عترتهم وخلفائهم سادة الأزكياء لما سقيت عبادك هؤلاء. فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى،

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾[1]، فضربه بها ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾[2]- كلّ قبيلة من بني أب من أولاد يعقوب - مشربهم)، فلا يزاحم الآخرين في مشربهم»[3].

نبيّ الله عيسى عليه السلام

قال الشيخ الصدوق قدس سره: «**ومن أعجب العجائب أنّ**

(١) سورة البقرة، الآية ٦٠.
(٢) سورة البقرة، الآية ٦٠.
(٣) تفسير الإمام العسكريّ، ص ٢٦١.

مخالفينا يروون أنّ عيسى بن مريم عليهما السلام مرّ بأرض كربلا، فرأى عدّة من الظباء هناك مجتمعة، فأقبلت إليه، وهي تبكي، وأنّه جلس وجلس الحواريّون، فبكى، وبكى الحواريّون، وهم لا يدرون لِمَ جلس، ولم بكى، فقالوا: يا روح الله وكلمته، ما يبكيك؟ قال عليه السلام: أتعلمون أيّ أرض هذه؟ قالوا: لا، قال عليه السلام: هذه أرض يقتل فيها فرخ الرسول أحمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفرخ الحرّة الطاهرة البتول شبيهة أمي، ويلحد فيها، هي أطيب من المسك؛ لأنّها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا تكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء، وهذه الظباء تكلّمني وتقول: إنّها ترعى في هذه الأرض شوقًا إلى تربة الفرخ المستشهد المبارك، وزعمت أنّها آمنة في هذه الأرض». ثمّ ضرب بيده إلى بعر تلك الظباء، فشمّها فقال عليه السلام: «اللهم أبقها أبدًا حتى يشمّها أبوه، فيكون له عزاء وسلوة»[1].

---

(١) الصدوق، محمّد، كمال الدين وتمام النعمة، ص ٥٣١-٥٣٢.

العقبات في مسار الحكومة الكبرى

عبّر اللّه تعالى عن الطريق الذي يوصل إليه بمصطلحين هما الصراط المستقيم وسبيل اللّه.

الصراط المستقيم

فمن الآيات التي ذكرت الصراط قوله تعالى:

- ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾(١).
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾(٢).
- ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾(٣).
- ﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ﴾(٤).

(١) سورة الفاتحة، الآية ٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية ٥١.
(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠١.
(٤) سورة الأنعام، الآية ١٢٦.

- ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١].
- ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[٢].
- ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٣].

سبيل اللّه

ومن الآيات التي ذكرت سبيل اللّه قوله تعالى:

- ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٤].
- ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾[٥].
- ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٦].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٢.
(٢) سورة يس، الآية ٦١.
(٣) سورة الشورى، الآية ٥٢.
(٤) سورة البقرة، الآية ١٩٠.
(٥) سورة البقرة، الآية ٢٦١.
(٦) سورة آل عمران، الآية ١٥٧.

- ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾(١).
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٢).
- ﴿وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾(٣).
- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾(٤).

وممّا لا شكّ فيه أنّ مسار الحكومة الإلهيّة هو صراط مستقيم، وسبيلٌ للّه تعالى، وبالتالي فإنّ من يصدّ عن سبيل اللّه وصراطه يشكّل عقبة تصدّ عن مسار تلك الحكومة.

بناءً عليه، فإنّ ما عرضه القرآن الكريم بعنوانه صادًّا عن صراط اللّه وسبيله يكون بالتأكيد عقبة في مسار الحكومة الإلهيّة الكبرى.

---

(١) سورة النساء، الآية ١٠٠.
(٢) سورة الأنفال، الآية ٧٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية ١٩٥.
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

من هنا نذكر ما عرضه القرآن الكريم من أشخاص وفئات بعنوان كونهم صادّين عن سبيل اللّه أو صراطه، وهم:

الصادُّون عن سبيل اللّه

١- الشيطان

قال تعالى: ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[٢].

إنّ صدّ الشيطان عن سبيل اللّه يكون من خلال التأثير في صور الأشياء في أذهان الناس، فهو يحاول جاهدًا أن يريهم معاصي اللّه تعالى جميلة، وطاعاته خالية من الجمال، وهذا هو معنى تزيين الأعمال القبيحة التي من خلالها يصدّ عباد اللّه عن سبيله.

(١) سورة الأعراف، الآية ١٦.
(٢) سورة النمل، الآية ٢٤.

٢- المنافقون

قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[١].

أيمانهم جمع يمين، وهو الحلف والقسم، وجُنَّة أي الستر الذي يُتَّقى به كالترس. والمعنى أنّ هؤلاء المنافقين اتخذوا أيمانهم الكاذبة التي يحلفون بها وقاية لأنفسهم، وسترًا لمؤامراتهم، فصرفوا النفوس عن دين اللّه بما يستطيعون من الصرف، بتقليب الأمور وتثبيط العزائم، لمنع الناس من دخول دين اللّه تعالى[٢].

٣- اليهود

﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٣].

---

(١) سورة المنافقين، الآيتان ١-٢.

(٢) أنظر: الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج١٩، ص ١٩٣و٢٧٩. مغنية، محمّد جواد، التفسير الكاشف، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م، ج٧، ص ٢٧٤.

(٣) سورة النساء، الآية ١٦٠.

في زمن الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم

حاول اليهود صدّ الناس عن دعوة رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم بأساليب عديدة منها:

١- طرح الأسئلة التعجيزيّة على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم. قال اللّه تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾(١).

٢- تشكيك البسطاء من الناس بالإسلام. قال اللّه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ﴾(٢).

٣- تحريض أعداء الإسلام ضدّ المسلمين، ومساعدتهم بشتّى الوسائل كالتجسّس ونحوه.

٤- إثارة الفتن وإعداد المؤامرات التي نتج عنها:

١- غزوة بني قينقاع.

---

(١) سورة النساء، الآية ١٥٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٠.

II-غزوة بني النضير.

III-غزوة بني قريظة.

IV-معركة خيبر.

إضافة إلى دورهم في معركة الخندق.

٥- نقضهم للعهود والمواثيق التي أبرموها مع النبيّ ﷺ في المدينة. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾[1].

٦- محاولة اغتيال الرسول محمّد ﷺ، مرّةً من قبل بني النضير[2]، ومرةً في خيبر عبر السمّ، فقد روى البيهقيّ عن ابن شهاب: «**إنَّ رسول الله ﷺ لمَّا افتتح خيبر، وقتل من قتل، واطمأنّ الناس، أهدت زينب ابنة الحارث، امرأة سلام بن مشكم، وهي ابنة أخي مرحب، لصفيّة امرأة رسول الله ﷺ**

(١) سورة الأنفال، الآية ٥٦.

(٢) مرتضى، جعفر، الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم، ط٤، بيروت، دار الهادي، ١٤١٥هـ،ج٨، ص ٤٠-٥٠.

شاة مصلية، وقد سألت: أيّ عضو الشاة أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السمّ، ثمّ سمَّمت سائر الشاة»[١].

بعد زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

لم تقتصر محاولات اليهود في الصدّ عن سبيل اللّه، لا سيّما المتعلّق بالحكومة الإسلاميّة، على حياته صلى الله عليه وآله وسلم، بل استمرّت المحاولات في ذلك بعد رحيله. ومن باب المثال نعرض، بشكل موجز، الدور البارز لكعب الأحبار اليهوديّ الذي كان يسكن في اليمن في الزمن الذي كان يسكنها معاوية بن أبي سفيان.

واللافت أنّ كعبًا أعلن إسلامه عام ١٧ للهجرة بعد فتح الشام وتنصيب معاوية بن أبي سفيان واليًا عليها[٢]، كما أنّ اللافت في تأريخ كعب الأحبار هو مدى الساحة الواسعة

(١) أنظر: المرجع نفسه، ص ١٤٧، ١٥٤.
(٢) قيل غير ذلك إلاّ أنّ كون إسلامه في عهد عمر بن الخطّاب هو الأشهر [أنظر: العينيّ، عمدة القارئ، ج٢٥، ص ٧٤].

التي فُتحت له في أكثر من بلد إسلاميّ، ففي المدينة المنوّرة سمح له «الخليفة الثاني» أن يلقي القصص في المسجد النبويّ المبارك، وفي الشام بالغ معاوية في الترويج له، فكان يقول: ألا إنّ كعب الأحبار أحد العلماء، إن كان عنده لعلم كالثمار(١)، وإن كنّا فيه لمفرطين(٢).

وقد وصل الأمر بمعاوية إلى أنّه رفض شهادة عبد اللّه ابن عبّاس فيما يخصّ قراءة آيات من القرآن الكريم، وأرسل يسأل كعبًا عنها»(٣).

وقد انتشرت في زمن كعب الأحبار ما بات يعرف بالروايات الإسرائيليّة انتشارًا واسعًا(٤).

والباحث في تاريخ المسلمين يُلاحظ دور اليهود البارز في صدّ الناس عن سبيل اللّه عبر الوسائل المختلفة. وهذا

---

(١) في بعض النصوص «كالبحار»[أنظر: العينيّ، عمدة القارئ، (لا، ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، (لا،ت)، ج٢٥، ص ٧٤].

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، (لا، ط)، بيروت، دار صادر، (لا،ت)، ج٢، ص ٣٥٨.

(٣) أنظر: الطائيّ، نجاح، نظريات الخليفتين، (لا، ط)، (لا،م)، (لا،ن)، (لا،ت)، ج٢، ص ٣٢٤.

(٤) أنظر: المرجع السابق، ص ٣١٩.

ما نلاحظه واضحًا في بروتوكولات حكماء بني صهيون التي فيها ما يعبِّر عن ذلك بوضوح، من قبيل ما هذا نصُّه:

- «لكي تبقى الجماهير في ضلال، لا تدري ما وراءها وما أمامها، ولا ما يُراد بها، فإنّنا سنعمل على زيادة صرف أذهانها بإنشاء وسائل المباهج، والمسلّيات، والألعاب الفكهة، وضروب أشكال الرياضة، واللهو، وما به الغذاء لملذّاتها وشهواتها...والإكثار من القصور المزوّقة، والمباني المزركشة، ثمّ نجعل الصحف تدعو إلى مباريات فنّية رياضيّة، ومن كلّ جنس، فتتوجّه أذهانها إلى هذه الأمور وتنصرف عمّا هيّأناه، فنمضي به إلى حيث نريد»[١].
- «لا بدّ من تحطيم الأسرة غير اليهوديّة»[٢].
- «علينا أن نسهّل زيادة نقائص الشعب وفساد عاداته

(١) نويهض، عجاج، بروتوكولات، حكماء صهيون، (لا، ط)، دمشق، طلاس، ١٩٨٩م، المجلّد الأوّل، ص ٢٤١.
(٢) اليهوديّة العالميّة، ص ١٠٦.

ورغباته، فيقع الشقاق بين الأحـزاب، وتتفرّق كافّة قوى الخوارج المجتمعة ضدّنا، وتثبّط كلّ العزائم، وتتوفّر لنا أسباب الغلبة على ملايين الرجال ممّن بثّينا فيهم روح الشقاق»[١].

عقبات أخرى

إنّ العقبات في قبال مسار الحكومة الإلهيّة الكبرى لا تقتصر على المنافقين واليهود من الناس، بل تشمل كلّ من يكون نتاج عمله تشويه الإسلام، وإبعاد الناس عنه، وإضعاف إيمان المؤمنين به، وما شابه هذا، ومن أمثلة هؤلاء التكفيريّون الدمويّون الذين شوّهوا ويشوّهون صورة الإسلام بتقطيع الرؤوس، وشيِّها على النار، وأكل الأكباد، ونبش القبور، إلى غير ذلك من الممارسات الفظيعة التي قلّما عهدها العالم، ولا يخفى مدى فعاليّة هذه الأمور في تشويه الإسلام، وإبعاد الناس عنه.

(١) المرجع السابق نفسه.

أهميّة معرفة المخطّط الإلهيّ وعقباته

إنّ معرفة المخطّط الإلهيّ لمسار قافلة البشريّة لها فوائد عديدة، منها:

١- قراءة حركة التاريخ والمستقبل الإنسانيّين بالشكل المنهجيّ الصحيح، وبالتالي فإنّ وعي القارئ للقرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وكذا أحداث الماضي والحاضر والمستقبل يختلف بين كونه يربط كلّ ذلك بمنهجيّة متجانسة متسلسلة، وبين كونه يقرؤها قطعًا متفرّقة لا تجانس بينها.

٢- إنّ معرفة ذلك المخطّط والمسار وعقباته تنتج الوعي للدور المطلوب في ضوء تلك القراءة.

وأنطلِقُ في توضيح هذه الفائدة من حادثة لافتة

حصلت مع بعض قادة المقاومة الإسلاميّة في لبنان في لقائهم بالمرجع الدينيّ آية اللّه العظمى الآراكيّ الذي كان عمره أكثر من مئة عام، فهو بادر أولئك القادة بعد ما عرّفوا عن أنفسهم بقوله: «**لقد أنعم اللّه عليكم بنعمة لا تعرفونها**»، فنظر بعضهم إلى بعض متعجّبين من هذا الكلام، متسائلين عن المراد من تلك النعمة، ولم يُطِل المرجع الدينيّ حتّى أوضح لهم مقصوده منها بقوله: «**لقد أتى اللّه تعالى بكم من مئات السنين؛ ليسكنكم في لبنان، ثمّ بعد ذلك بمئات السنين أتى بأعداء اللّه اليهود الصهاينة ليحتلّوا فلسطين، ليكون لكم بعد ذلك شرف قتال أعدى أعداء اللّه تعالى**».

إنّه حديث عن نعمة البيئة الجغرافيّة الخاصّة التي تميّز بها مجاهدو المقاومة الإسلاميّة، وعن الدور الكبير الذي اختصّ به اللّه تعالى هذه المقاومة ومن آزرها، وهو إزالة عقبة أساسيّة من أمام مشروع إقامة

الحكومة الإلهيّة الكبرى. وهكذا الحال بالنسبة إلى الجهاد مع العقبات الأخرى الصادّة عن سبيل اللّه كالقوى التكفيريّة الدمويّة التي تحدّثنا عنها سابقًا.

٣- إنّ معرفة المخطّط الإلهيّ والسير في الدور المطلوب على أساسه توضح للإنسان القيمة الكبرى لعمله في دائرة ذلك الدور، مهما كانت وظيفته فيه، فاللّه تعالى جعل سرّ خلق الموت والحياة هو العمل الأحسن في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾[1].

والعمل الأحسن هو الذي يتحقّق فيه ثلاث خصوصيّات:

١- أن يرتكز على العقيدة السليمة.

قال اللّه تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾[2].[3]

---

(١) سورة الملك، الآية ٢.

(٢) سورة فاطر، الآية ١٠.

(٣) أنظر: الطباطبائيّ، محمّد حسين، تفسير الميزان، ج٢، ص ٣٧.

٢- أن ينطلق من نيّة خالصة لله تعالى

عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّما الأعمال بالنّيات، وإنّما لكلّ امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوّجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[(١)].

٣- أن يصب في الموقع الأفضل، وهو بحسب ما يفهم من النصوص الدينيّة يتحقّق بخدمة الناس.

قال الإمام الخمينيّ قدّس سرّه: «**لا أعلم عملاً هو أفضل عند الله من خدمة الناس**».

وممّا يشهد لهذا ما ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**الخلق كلّهم عيال الله، فأحبّهم إلى الله عزّ وجلّ أنفعهم لعياله**»[(٢)].

---

(١) البروجرديّ، حسين، جامع أحاديث الشيعة، (لا،ط)، قم، (لا،ن)، ١٤٠٩هـ، ج١، ص٣٥٩.

(٢) الحرّ العامليّ، زين الدين، وسائل الشيعة، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، قم، ١٤١٤ هـ، ج١٦، ص ٣٤٥.

وكلّما اتّسعت خدمة الناس كلّما سمت قيمة عمل الإنسان، لذا فحينما أراد الله تعالى أن يكافئ خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد نجاحه بالابتلاءات العظيمة، فإنّ الجائزة كانت إمامته للناس أي الموقع الأعلى لخدمة الدائرة الكاملة في وسعها لجميع الناس، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾[1].

بناءً على ما تقدّم، فإنّ العامل في سبيل إقامة الحكومة الإلهيّة الكبرى عبر السعي في إزالة العقبات من أمامها هو عامل للدائرة الأوسع، وبالتالي فإنّ عمله يدخل في أفضل الأعمال.

٤- إنّ معرفة المخطّط والمسار الإلهيّ لقافلة البشريّة الذي أراد الله تعالى له أن يتحقّق باختيار الناس، وإنّ تحديد الدور في ضوء ذلك المخطّط، والالتفات

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

إلـى عظيم العمل في دائـرة ذلك الـدور، كلّ ذلك يدعو إلى المثابرة والجدّ في أمرين أساسيّين:

الأوّل: السعي لإزالة العقبات كما تقدّم.

الثاني: تقديم النموذج الجاذب المستقطِب للناس ليسيروا في السبيل الذي يحقّقون فيه كمال الفرد، وكمال قافلة البشريّة؛ ليكونوا من الممهّدين لقيام حكومة اللّه في أرضه على يد صاحب العصر والزمان عجّل الله فرجه الشريف.

والحمد للّه ربّ العالمين

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أ

ابن شهر آشوب، محمّد:

١. المناقب، (لا، ط)، النجف الأشرف، المكتبة الحيدريّة، ١٣٧٦هـ.

ابن سعد، محمّد:

٢. الطبقات الكبرى، (لا، ط)، بيروت، دار صادر، (لا، ت).

ابن منظور، محمّد:

٣. لسان العرب، (لا.ط)، بيروت، دار صادر، (لا، ت).

ب

البروجرديّ، حسين:

٤. جامع أحاديث الشيعة، (لا،ط)، قم، (لا،ن)، ١٤٠٩هـ.

بركات، أكرم:

٥. مصحف فاطمة، ط٦، بيروت، بيت السراج، ٢٠١٢م.

٦. كيف نبني مجتمعًا أرقى، ط١، بيروت، بيت السراج، ٢٠١٣م.

البحرانيّ، عبد الله:

٧. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، محمّد باقر الأبطحي الأصفهانيّ، ط١، قم، مدرسة الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف، ١٤٠٧هـ.

البحرانيّ، هاشم:

٨. غاية المرام، تحقيق علي عاشور، (لا، ط)، (لا، ن)، (لا، ت).

ح

الحرّ العامليّ، محمّد حسن:

٩. وسائل الشيعة، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، قم، ١٤١٤ هـ.

١٠. الفصول المهمّة في أصول الأئمّة، تحقيق محمّد بن حسين القائينيّ، ط١، قم، مؤسّسة معارف إسلامي، ١٤١٨هـ.

خ

الخمينيّ، روح الله:

١١. منهجيّة الثورة الإسلاميّة، إعداد ونشر مؤسّسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخمينيّ، ط٢، طهران، ٢٠٠٦م.

ص

الصدوق، محمّد:

١٢. الخصال، تحقيق عليّ الغفاريّ، (لا،ط)، قم، جماعة المدرسين،١٤٠٣هـ.

١٣. كمال الدين وتمام النعمة، (لا، ط)، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤٠٥هـ.

١٤. معاني الأخبار، تحقيق عليّ أكبر الغفاريّ، (لا، ط)، قم، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٣٧٩هـ.

الصفَّار، محمّد:

١٥. بصائر الدرجات، (لا، ط)، طهران، منشورات الأعلميّ، ١٤٠٤هـ.

ط

الطبرسيّ، حسين:

١٦. النجم الثاقب، ط١، قم، أنوار الهدى، ١٤١٥هـ.

الطائيّ، نجاح:

١٧. نظريات الخليفتين، (لا، ط)، (لا،م)، (لا، ن)، (لا، ت).

ع

العهد الجديد والمزامير:

١٨. (لا، ط)، بيروت، دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط، ١٩٨٥م.

٢٠.العينيّ:

١٩. عمدة القارئ، (لا، ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، (لا، ت).

الطباطبائيّ، محمّد حسين:

٢٠. الميزان في تفسير القرآن، ط٥، بيروت، الأعلمي، ١٩٨٣م.

ك

٢١. الكتاب المقدّس، العهد الجديد، ط٤، بيروت، المكتبة الشرقيّة، ١٩٨٦م.

الكجوريّ، محمّد باقر:

٢٢. الخصائص الفاطميّة، ط١، انتشارات الشريف الرضيّ، (لا،م)، ١٣٨٠ش.

الكلينيّ، محمّد:

٢٣. الكافي، تحقيق عليّ أكبر الغفاريّ، ط٤، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٦٥هـ.

م

المجلسيّ، محمّد باقر:

٢٤. بحار الأنوار، تصحيح محمّد مهدي الخرساني، (لا، ط)، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٩٦هـ.

٢٥. مرتضى، جعفر:الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم، ط٤، بيروت، دار الهادي، ١٤١٥هـ.

المفيد، محمّد:

٢٦. المزار، تحقيق محمّد باقر الأبطحي، ط٢، بيروت، دار المفيد، ١٤١٤هـ.

مغنيّة، محمّد جواد:

٢٧. التفسير الكاشف، ط٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

ن

نويهض، عجاج:

٢٨. بروتوكولات، حكماء صهيون، (لا، ط)، دمشق، طلاس، ١٩٨٩م.

الفهرس

صدر للمؤلّف عن بيت السّراج للثقافة والنشر:

سلسلة الكتب العلميّة:

1. التكفير، ضوابط الإسلام وتطبيقات المسلمين (مترجم إلى الفارسيّة).
2. حقيقة الجفر عند الشّيعة.
3. حقيقة مصحف فاطمة عند الشّيعة (نال جائزة أفضل كتاب لعام 2003م في مهرجان الولاية الدوليّ في إيران).
4. ولاية الفقيه، بين البداهة والاختلاف.
5. سفينة العقل-رحلة باحث عن الحقيقة (مترجمة إلى اللغات: الانكليزيّة، الفرنسيّة، الهوسا، السويحلية والاوردو).

سلسلة الأبحاث الفكريّة:

6. الأمّة بين ولاية الفقيه ومرجعيّة التقليد.
7. الآخر في المنظور الدينيّ.
8. فلسفة الشَّهادة، رؤية تحليليّة في ضوء قوَّة الإدراك ومتعلَّقاته.

9. الوطن السياسيّ مقاربة تأصيليّة.
10. الاختلاف العقديّ في نظر العقل المؤمن.
11. قِدم العالم بين الغزاليّ وفلاسفة الأندلس.
12. العقل الفعّال في فلسفة ابن باجة.

سلسلة الكتب التدريسيّة:

13. دروس في علم الدراية (معتمد في المناهج الدراسيّة الحوزويّة).
14. محاضرات في الثقافة الإسلاميّة. (مترجم إلى اللغة الإنكليزيّة).
15. المسائل المصطفاة في أحكام الطهارة والصلاة.
16. أحكام النساء.

سلسلة الأدب المقاوم:

17. خيوط القبعة.
18. حائك القبعة.
19. رأيت في الجرود.
20. سرُّ حجابي.
21. مشاهد شاميّة.

مجموعة يسألونك (مترجمة إلى اللغات: الانكليزيّة، الفرنسيّة، الهوسا والسويحليّة).

22. يسألونك عن اللّه.
23. يسألونك عن الأنبياء.
24. يسألونك عن الأئمة عليهم السلام.
25. يسألونك عن الوليّ.
26. يسألونك عن التقليد.

27. يسألونك عن الموت والبرزخ.
28. يسألونك عن القيامة.
29. يسألونك عن الحكم الشرعيّ.
30. الفاتحة -خلاصة المعرفة الدينيّة-.

مجموعة تعارفوا:

31. دليل العروسين، بين الخطوبة والزفاف. (مترجم إلى الإنكليزيّة).
32. سعادة الزوجين في ثلاث كلمات.
33. 3 حقوق لحياة زوجيّة ناجحة.
34. كيف تجعل ولدك صالحًا؟
35. كيف نتواصل مع النّاس؟
36. كيف نبني مجتمعًا أرقى؟
37. آية الوصايا العشر.

مجموعة يزكّيهم:

38. ميزان السّير والسّلوك.
39. برنامج السّير والسّلوك.
40. هكذا تكون سعيدًا. (مترجم إلى الإنكليزيّة والفرنسيّة).
41. كيف ترجع كما ولدتك أمّك؟
42. شهر اللّه وآدابه-مناسباته- أولياؤه.
43. لا تَقرَبوا.
44. كيف نتواصل مع اللّه؟

مجموعة القربى:

45. هذا رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم (مترجم إلى الإنكليزيّة والفرنسيّة).
46. هذا أمير المؤمنين عليه السلام.
47. هذه فاطمة الزهراء عليها السلام.
48. هذا الحسن المجتبى عليه السلام.
49. الحسين عليه السلام -قيام النور- (وليالٍ عشر).
50. الحسين عليه السلام -سرّ العشق- (وأتممناها بعشر).
51. برقيّة الحسين عليه السلام (مترجم إلى الإنكليزيّة والفرنسيّة).
52. هؤلاء ذرّيّة الحسين عليهم السلام.
53. قافلة البشريّة -من سفينة نوح إلى دولة المهديّ عجل الله فرجه الشريف-. (مترجم إلى الإنكليزيّة والفرنسيّة).

سلسلة الكتب التبليغيّة:

54. التبليغ من وحي التجربة.
55. مسجد القائم عجل الله فرجه الشريف -ذاكرة عشرين عاماً-.

سلسلة الكتب البرتغاليّة:

56. Paulo em busca da verdade
57. A ORACAO NO ISLAM «Assalat»
58. UN RESUMO DOS DEVERES NO ISLAM

سلسلة الدروس الحوزوية (إصدار الكتروني):

- شرح كتاب كفاية الأصول عدد الدروس 211
- شرح كتاب المكاسب المحرّمة عدد الدروس 173

- شرح كتاب المكاسب / البيع عدد الدروس 289
- شرح كتاب فرائد الأصول عدد الدروس 62
- شرح كتاب بداية الحكمة عدد الدروس 88

يمكنكم قراءة جميع الكتب عبر التطبيق الالكتروني «مكتبة سراج القائم» من خلال (QR code) «رمز الاستجابة السريعة»